أوجوستو مونتيروسو

مختارات شخصية

ترجمة وتقديم

محمد أبو العطا

المركز القومى للترجمة



2637

سلسلة الإبداع القصصي



فى واحد من الأقطار البعيدة، كانت هناك نعجة سوداء، أعدمت رميا بالرصاص.
بعد قرن من الزمان، أقام لها القطيع، الذى ندم على فعلته، تمثالا راكبا فى الحديقة العامة.
وعلى ذلك، ومنذ تلك اللحظة فصاعدا، كلما ظهرت نعجة سوداء، سرعان ما يعمل فيها القتل؛ كى تتمكن الأجيال اللاحقة من التمرس فى فن النحت.

تصميم الغلاف: هانى الشناوى

مختارات شخصية

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: أنور مغيث

سلسلة الإبداع القصصى
المشرف على السلسلة: خيرى دومة

- العدد: 2637
- مختارات شخصية
- أوجوستو مونتيروسو
- محمد أبو العطا
- اللغة: الإسبانية
- الطبعة الأولى 2015

هذه ترجمة:

ANTOLOGÍA PERSONAL
By: Augusto Monterroso

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

مختارات شخصية

تـأليف : أوجوستو مونتيروسو

ترجمـة وتقديم : محمد أبو العطا



2015

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

مونتيروسو ، أوجوستو ، ١٩٢١ - ٢٠٠٣
مختارات شخصية/ تأليف: أوجوستو مونتيروسو
ترجمة وتقديم : محمد أبو العطا
القاهرة: المركز القومى للترجمة، ٢٠١٥
٥٦ ص؛ ٢٠ سم
١ - السرد الأدبى
(أ) أبو العطا ، محمد (ترجمة وتقديم)
(ب) العنوان ٨٠٨,٩٢٣

رقم الإيداع : ٢٠١٤/١٧٨١١
الترقيم الدولى : 978-977-718-839-5
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتـــويات

تقديم المترجم

أوجوستو مونتيروسو كاتب من جواتيمالا ومن نقاد الأدب ومؤرخيه المعروفين ومن رواد التجديد فى كتابة القصة، وهو بحكم تكوينه الثقافى ملم بعدة لغات وثقافات، لذا فإن رؤيته الأدبية ذات أفق رحيب ومعامل التأثر والتأثير لديه جد متنوع. ويرتكز مشروعه الإبداعى على التجديد التقنى والأسلوبى والفكرى وإحياء التراث السردى بعد مراجعة مسلماته والسعى إلى خلق أسلوب جديد يحمل وسمه الخاص.

أما نتاجه السردى فقائم على شغل الفواصل بين الأنواع الفرعية المختلفة للسرد، فكتابته تخمية بين الأمثولة بشكلها القديم والحكاية والقصة القصيرة فى ثوبها المعاصر. ومن أهم منجزاته أنه مؤلف أقصر قصة فى الأدب ("عندما صحا كان الديناصور هناك").

ولد أوجوستو مونتيروسو فى تيغوثيغالبا (هندورس) ١٩٢١، وتوفى فى عاصمة المكسيك عام ٢٠٠٣. فى مطلع شبابه ناضل ضد حكم

الديكتاتور الجواتيمالي خورخي أوبيكو، مما اضطره إلى اختيار منفاه في المكسيك التي استقر فيها بعد عدد من الأسفار والإقامات والمهام الديلوماسية في أوروبا على وجه الخصوص.

من أشهر أعماله :

- الأعمال الكاملة وقصص أخرى (١٩٥٩)
- النعجة السوداء وحكايات أخرى (١٩٦٩)
- حركة دائمة (١٩٧٢)
- وما غير ذلك صمت (١٩٧٨)
- رحلة إلى مركز الحكاية (١٩٨١)
- الكلمة المسحورة (١٩٨٣)
- حرف الـ e: قطوف من يوميات (١٩٨٧)
- الباحثون عن الذهب (١٩٩٣) (سيرة ذاتية)
- البقرة (١٩٩٨)
- طيور من إسبانوأمريكا (٢٠٠٢)

معروف أن مجموعته القصصية "النعجة السوداء وحكايات أخرى هي أهم إصداراته وأشهرها، وهي التي كانت مصدر شهرته الأدبية

داخل وطنه وخارجه. ومن أهم عناصرها - التى هى فى الوقت ذاته مجمل سمات كتاباته اللاحقة - المزحة والدعابة التى تعلمها من أمير السرد الإسبانى دون ميغل دى ثربانتس والسخرية واللجوء إلى الأمثولة القديمة من إيسوب إلى لافونتين فى التراث الأوروبى، وإلى الإرث الأمريكى القديم المتمثل فى منابع كثيرة منها كتاب العموم (*Popol Vuh*)، وثقافات المايا، وشعوب سلسلة جبال الأنديز على سبيل المثال.

وخصوصية كتابة مونتيروسو أنها قراءة جديدة للأمثولة التقليدية ومراجعة لعناصرها وإعادة صياغة ذكية وحديثة لقالبها ومعمارها التقليديين. فعلى الرغم من تمسكه بأبطال الحكاية القديمة وأدوارهم التقليدية فى حكايات الوعظ، ينفح هؤلاء الأبطال أدوارا ودلالات غير تقليدية. أما أهم إضافة منه إلى الحكايات هى أنها بلا أى نية فى الوعظ ولا استخراج الموعظة منها، بل إنها تحمل -رمزا أو إيهاما أو صراحة- هموم الإنسان المعاصر وشعوره بالاغتراب والتشظى وتعذر اتصاله بالآخر وبالانكشاف أمام مخاوفه ورعبه مما هو آت.

وهنالك كذلك فى كتابة مونتيروسو فى هذه المجموعة ملمح فارق تجعله متنائيا عن جوهر الفكر التقليدى الغربى، وهو الفكاك من سطوة

العقلانية المحدودة واستشراف أنماط فكرية حاضرة فى ثقافات أخرى وتعزز الاتجاه نحو اللامركزية فى الفكر والإبداع.

ومقاربته لحكايات تقليدية مثل "السلحفاة وأخيل" و"بجماليون"، تنم عن أصالة هذا الكاتب فى استحداث رؤى ومعالجات تراجع القديم وتتقاطع مع المعاصر المعيش.

وقد أشرنا إلى مجموعة النعجة السوداء وحكايات أخرى، على وجه الخصوص، لأنها حاضرة بشكل واضح فى هذا المجلد الذى نقدمه إليك عزيزى القارئ ويحمل عنوان "مختارات شخصية"؛ وهو مع ذلك يضم قصصا أخرى من مؤلفات أخرى للكاتب.

ولا يفوتنا إضافة أن أوجوستو مونتيروسو، إلى جانب كونه قصاصا رائعا، هو أحد حكماء أمريكا اللاتينية وأشدهم معرفة بكتابها ومبدعيها، ولعل غيضا من هذا الفيض قد نلمحه على هذه الصفحات.

محمد أبو العطا

مصر الجديدة - ٢٠١٤

(١)

الخادمات

أحب الخادمات لأنهن غير واقعيات، لأنهن يرحلن، لأنهن يمقتن الطاعة، لأنهن يجسدن آخر ما تبقى من العمل الحر وليس لديهن تأمين ولا تسهيلات ولا شيء؛ لأنهن وكأنهن أشباح سلالة منقرضة يأتين وينفذن إلى البيوت ويتلصصن ويفتشن ويطللن على أعماق أسرارنا الحقيرة ويستقرئن بقايا القهوة، أو كأس النبيذ، وأعقاب السجائر، أو هن ببساطة يدخلن نظرتهن المتسللة وأيديهن الشرهة فى الصوانات، وتحت الوسائد، أو يلملمن أجزاء الورق الممزق وصدى شجارنا، فيما ينفضن ويزلن حقارتنا المستمرة وفضلات ما نكره حين يخلون إلى أنفسهن طيلة الصباح يغنين غناء المظفرين، لأنهن يُستقبلن كما تستقبل الظهورات فى اللحظة التى يظهرن فيها بعلبة القهوة أو علبة رقائق القمح الممتلئة بالملابس والأمشاط ومرايا صغيرة للغاية لم يزل يغطيها

غبار آخر لاواقع تحركن فيه؛ لأنهن حينئذ يجبن بنعم إزاء كل شيء فيبدو أن يدهن الحامية لن تتخلى عنا أبدا؛ لأنهن في نهاية الأمر يقررن الرحيل كما جئن ولكن بمعرفة أعمق بالبشر، وبالتفهم والتضامن؛ لأنهن آخر ممثلي الشر ولأن زوجاتنا لا يدرين كيف يتصرفن من دون الشر ويتشبثن به ويستعطفنه ألا يترك من فضله الأرض؛ لأنهن الكائنات الوحيدة اللائي ينتقمن لنا من إهانات تلك السيدات أنفسهن؛ إذ يرحلن فقط، فيلملمن مرة أخرى ثيابهن الملونة، وأشياءهن، وزجاجات طلاء الوجه الزهيد الثمن، والتي بها الآن طلاء وجه فاخر وإن يكن متسخا قليلا ثمرة سرقاتهن غير المدربة. "إني راحلة"، يقلن لهن بشدة وهن يملأن العلب الكرتونية من جديد. لم؟ هكذا. (آه، أيتها الحرية الفائقة الوصف). وهكذا يذهبن، ملائكة أشرارا، سعيا وراء مغامرات جديدة، ومنزل جديد، وسرير جديد، وسيدة جديدة ليس بإمكانها أن تحيا من دونهن وتحبهن؛ فيخططن لحياة جديدة رافضات إبداء الشكر لحسن معاملتهن حين مرضن عند مناولتهن قرص أسبرين بحب؛ مخافة ألا يتمكنَّ من غسل الأطباق في اليوم التالي، وهو بالفعل ما يصيب السيدات بالتعب، فإعداد الطعام لا يُتعب. كم أحب رؤية مجيئهن، وهن يطرقن الباب، ويبتسمن، ويدخلن، ويقلن نعم؛ ولكن كلا، فهن دائما يقاومن لقاء ماري

بوبينز- سيدة المنزل لتحل لهم كل مشاكلهن، مشاكل أبويهن، وإخوتهن الصغار والكبار، مشاكل في خضمها يتحين أحدهم فرصة اغتصابهن؛ ويعلمهن في الليل غناء دو - رى - مى، دو - رى - مى، إلى أن يغلبهن النوم، وقد شغلت فكرهن في عذوبة أطباق الغد الغارقة في موجة من زبد مسحوق الغسيل، فا - صول - لا - سى، ويلمس شعرهن في حنان، ويرحل بلا جلبة، على أطراف أصابعه، ويطفئ الضوء في اللحظة الأخيرة قبل أن يغادر الغرفة ذات الملامح غير الواقعية على نحو مبهم.

من كتاب: حركة دائمة

(٢)

السيمفونية الكاملة

طفق البذين يقول فى اضطراب: فى وسعى أن أحكى أن عازف أرغن مسنا فى كنيسة فى حى قصى علىّ منذ ثلاثة أعوام فى جواتيمالا أنه فى ١٩٢٩ حين عُهد إليه بتصنيف النوت الموسيقية بكنيسة لا ميرثيد عثر بغتة على أوراق نادرة شرع يدرسها بحماس وبحنانه المعهود، وبما أن الشروحات كتبت بالألمانية تأخر طويلا فى اكتشاف أنها تسجل الحركتين الأخيرتين من "السمفونية الناقصة"؛ لذا فإننى أتخيل قدر تأثره حين رأى بوضوح توقيع شوبيرت وأنه عندما خرج إلى الشارع فى بالغ الاهتياج ليبلغ الآخرين باكتشافه قالوا له جميعا وهم يضحكون إنه قد فقد عقله وإنه يود أن يسخر منهم، ولكنه بما أنه يتقن فنه كان يدرك بيقين تام أن هاتين الحركتين كانتا على قدر كبير من الامتياز كالحركتين الأوليين، فلم يتخاذل بل على العكس أقسم أن يكرس ما بقى

له من عمر فى إجبارهم على الاعتراف بقيمة اكتشافه، ومن ثم فإنه منذ ذلك الحين تفرغ لرؤية موسيقيي جواتيمالا كافة، وبطريقة منهجية بلغت نتيجة ذلك مبلغا من السوء حتى إنه بعد أن تشاجر مع أغلبهم ودون أن يشى بالأمر إلى أحد وخاصة زوجه باع منزله لينتقل إلى أوروبا، ولكن الأمر ازداد سوءا ما إن وصل إلى فيينا؛ لأنهم قالوا كيف لعازف أرغن(*) من جواتيمالا أن يعلمهم العثور على أعمال موسيقية مفقودة، وخاصة شوبيرت الذى يملأ المتخصصون فى أعماله المدينة ثم ماذا كانت تفعل هذه الأوراق فى ذلك المكان البعيد حتى بلغ اليأس بالرجل مبلغه وفى يده ثمن تذكرة العودة فتعرف إلى أسرة من عجائز اليهود عاشوا من قبل فى بوينس أيرس ويتحدثون الإسبانية، فرحبوا به وانتابهم شديد التوتر حين عزفوا الحركتين بقدر بما حباهم الله من فهم على البيانو والفيولا والكمان، وبعد أن نال منهم التعب مناله فى فحص الأوراق من كل جانب وتشممها والنظر إليها عبر ضوء النافذة وجدوا أنفسهم مضطرين إلى الصياح بصوت خفيض أولا ثم بقوة هى أوراق

(*) فى محاضراته الشهيرة "سبع ليال" ، و"الليلة السابعة ، وخاتمة : العمى" محاضرات ألقيت أولاً فى عام ١٩٧٧، فى مسرح "كوليسيو" فى بوينس أيرس، ثم صدرت فى أكثر من مجلد . (المترجم)

شوبيرت هى أوراق شوبيرت! ثم أجهشوا بالبكاء الحار كل فوق كتف الآخر، وكأنهم فقدوا فى تلك اللحظة أوراق شوبيرت بدلا من أن يستعيدوها، وكم أدهشنى مواصلاتهم البكاء رغم استعادة هدوئهم وبعد أن تحدثوا فيما بينهم بلغتهم حاولوا إقناعه فى بهجة أن الحركتين - رغم كونهما على جانب كبير من الروعة، لا تضيفان شيئا إلى قيمة السيمفونية فى شكلها الحالى، بل على العكس ربما انتقصتا منها؛ لأن الناس اعتادت أسطورة أن شوبيرت مزق الحركتين الأخيرتين أو هو لم يحاول كتابتهما حتى مقتنعا بأنه لن يتمكن أبدا أن تفوقا - أو على الأقل أن تساويا - جودة الحركتين الأوليين وأن الجمال أن نفكر فى أنه إذا كانت الحركتان الأوليان على هذا النحو الحركة الأولى (allegro) والحركة الثانية (andante) فما بال الثالثة (scherzo) والرابعة (allegro ma non troppo) وإنه إذا كان بالفعل يحترم ذكرى شوبيرت ويحبه فإن الذكاء يحتم عليه أن يسمح لهم بالاحتفاظ بتلك الموسيقى؛ لأنه فضلا عن أنه سيدخل فى جدل لا ينتهى فإن الوحيد الذى سيخسر هو شوبيرت، حينئذ وبعد أن اقتنع أنه لن يبلغ شيئا بين السفسطائيين وخاصة عشاق شوبيرت وكانوا الأسوء ركب البحر عائدا إلى جواتيمالا وفى أثناء رحلته وفى ليلة يسقط فيما ضوء القمر مباشرا على جانب

السـفينة المزبد بعـميق الأسـى بعـد أن أصـابه الكلل من الصـراع مع الأشرار والأخيار أخـذ الأوراق ومزقـهـا ورقـة ورقـة، وألقـاهـا من حـافـة المركب إلى أن استـوثق من أن أحدا لن يعـثر عليـها أبدا، فيـمـا أحـرقت دموع غزيرة وجنتيه وراح يفكر فى مرارة فى أنه لا هو ولا وطنه لهـمـا حق المطالبة بمجد أنهما أعادا إلى العالم صفحات كان للعالم أن يتلقاها بعظيم البـهـجـة ولكنه -بالاحـتكام إلى المنطق- رفضـهـا. أنـهى البـدين حديثه بأسى مبالغ فيه.

من كتاب: الأعمال الكاملة (وقصص أخرى)

(٣)

كسوف الشمس

حين أحس فراى بارتولومى آراثولا بأنه ضل قبل فكرة أن لا شيء فى مقدوره أن ينقذه. كانت الغابة الشديدة البأس فى جواتيمالا، قد أسرته على نحو لا يرحم ونهائى. وإزاء جهله الطبوغرافى جلس ينتظر الموت. أراد أن يقضى هناك، منعزلا، بلا أمل، وفكره مثبت فى إسبانيا البعيدة، خاصة فى دير "لوس أبروخوس"؛ حيث قرر الملك كارلوس الخامس مرة أن يهبط من عليائه ليبلغه ثقته فى الوازع الدينى لمهمته المُخَلصة.

حين صحا ألفى نفسه محوطا بجماعة من السكان الأصليين ذوى وجوه بلا تعبير يعدون للتضحية به فوق المذبح، مذبح بدا لبارتولومى كأنه فراش سيرقد فيه بسلام فى نهاية الأمر، ويستريح من مخاوفه، ومن مصيره، ومن نفسه.

ثلاثة أعوام من الإقامة فى البلاد نفحته إتقانا متوسطا للغات الأصلية. قام بمحاولة. نطق بكلمات ففهمت.

حينئذ أزهرت فى رأسه فكرة اعتبرها جديرة بموهبته وثقافته الكونية وبمعرفته الشاقة بأرسطو. تذكر أنه فى ذلك اليوم يُتوقع كسوف كلى للشمس. وقرر فى قرارة نفسه أن ينتهز هذه المعرفة ليخدع قامعيه وينقذ حياته. قال لهم:

- لو قتلتمونى بوسعى أن أجعل الشمس تظلم فى عليائها.

حدجه السكان الأصليون بنظرهم وفاجأ بارتولومى نظرة عدم التصديق فى أعينهم. ورأى تشكل مجلس صغير، وانتظر واثقا، ليس بلا شيء من الازدراء.

بعد ساعتين كان دم قلب فراى بارتولومى أراثولا ينز بغزارة على صخرة الأضاحى (البراقة تحت ضوء كسوف شمسى معتم)، فيما يتلو أحد السكان الأصليين بلا أقل تغير فى نبرة صوته، وبلا عجالة، واحدا فواحدا مواقيت كسوف الشمس وخسوف القمر التى لا تنتهى والتى حسبها علماء الفلك فى حضارة المايا وسجلوها فى كتبهم من دون معاونة أرسطو النفيسة.

من كتاب: الأعمال الكاملة (وقصص أخرى)

(٤)

الديناصور

حين صحا كان الديناصور لا يزال هناك .

من كتاب: الأعمال الكاملة (وقصص أخرى)

(٥)

الشاعر فى الهواء الطلق

يوم الأحد ذهبت إلى الحديقة العامة. تحت الشمس ومحوطا بالأشجار وقف الشاعر فوق منصة ذات لون غير محدد أمام خمسين شخصا ينصتون إليه بانتباه أو بلا اهتمام أو بأدب.

كان الشاعر يقرأ بصوت عال أوراقا تمسك بها يده اليسرى، فيما يؤكد بيده اليمنى الكلمات فى الموضع الذى يبدو له الأفضل. وحين ينتهى من قصيدة يُسمع تصفيق الجمهور الخافت وغير المتحمس حتى إنه ربما عدّ رفضا. كانت الشمس تسقط بحمية على رؤوس الجميع، بيد أنهم اهتدوا إلى طريقة للتخلص منها بوضع البرنامج فوق رؤوسهم. نبهت طفلة ذات ثلاثة أعوام ونصف العام والدها إلى ذلك وضحكت، وهو أيضا ضحك فيما يحس فى داخله بالإعجاب بذكاء ابنته.

أما الشاعر، الذى يرتدى ملابس قديمة نحوا ما، فظل يقرأ. فهو الآن يستخدم جسده ويمد ذراعيه إلى الأمام كأنه يطلق من فمه بدلا من الكلمات شيئا آخر، زهورا ربما أو شيئا آخر، وعلى الرغم من أن الجمهور المنتبه إلى حفظ توازنه حتى لا تسقط ورقة البرنامج من فوق رأسه لا يستجيب لإيماءاته.

خلف الشاعر، إلى منضدة طويلة يغطيها قماش أحمر جلست السلطات بسمت صارم كما ينبغى. وعلى مقربة، فى الشارع، يسمع ضجيج السيارات المارة؛ وعلى مسافة أقرب، لا أحد يعرف على أى جانب، ولكنها بين الأشجار، تعزف جوقة افتتاحية وليم تل. أضاع ذلك الأمر وغيره شيئا من الأثر الذى يسعى الشاعر إلى تركه؛ ولكن بشىء من الاستعداد الطيب يمكننا أن نخلص إلى أنه يقول شيئا عن ربيع يسكن قلبه وعن زهرة تمسك بها امرأة فى يدها فيشرق كل شىء، وعن قناعة بأن العالم على وجه العموم على ما يرام، وأنه قد ينقص بعض الأمور ليصير العالم كاملا ومفهوما ومتناغما وجميلا.

من كتاب: حركة دائمة

(٦)

الجنـــة

فى الآونة الأخيـرة كـان يصل إلى مكتبـه متـأخرا قليلا، بل على الأحرى متأخرا جدا، ولكن فى الحدود التى يسمح بها فى رأيه النظام الذى أتى به إلى ذلك المكان تحديدا كى لا يعمل، كى لا يعطل أحدا، كى يحضر متأخرا؛ لأن المهم، كما يفكر الآن، هو ألا يتخلف عن الحضور، وأن يصل إلى العمل، ويمكث. حينئذ يقدم له النادل فنجان قهوة وهو يقبله ممتنا، فكم كان رائعا شعور المرء بأنه يفعل شيئا، وأن ينتظر شيئا خلال الدقائق الثلاث القادمة، وإن يكن فنجان قهوة سيئ الإعداد وله رائحة جرذ عجوز، عجوز جدا. وعندما تخبره السكرتيرات بأن أحدا لم يسأل عنه (فـ «لا أحد» كانت عكس لا أحد، فـ «لا أحد» تعنى بالطبع أحد الرؤساء، أو موظفا أعلى فى المصلحة) كان يشعر بالسكينة والأمان.

حينئذ يمكن للصباح أن يمر بلا قلق فمن هذه اللحظة يصبح كل الأمر مسألة انتظار فى صبر حتى منتصف النهار ثم الساعة الواحدة ثم الثانية والنصف. بيد أن ذلك كان دائما وهما؛ فالساعات تنقضى فى مشقة ومن الأفضل، كما تفعل حية "البوا" فى ضحياها، أن تغطيها بلعابها بلا قلق كل منها على حدة، طويلا، حتى يمكن بلعها دقيقة تلو الدقيقة، رغم أنك لاحظت فى دقة ذات مرة فى العمل، أنه بعد ساعة تأتى أخرى ثم أخرى وأخرى، ولم تزل أمامك ثلاثين دقيقة تالية تقضيها فى نهاية الأمر كيفما اتفق وترحل مسرعا. وبالطبع وعلى أية حال يمكنك أن تلوذ بالجريدة، لكن المرء لن يقضى النهار بأكمله يطالع الجريدة. ومع ذلك، فأنت أعلم بوسائلك الاحتياطية فأنت واثق من أن أحدهم، أحدهم العظيم، سيكون هناك دائما ليتحدث إليك. بعضهم ينصت لك دائما باهتمام، أو هو على الأقل يصطنع ذلك وهو ليس بالقليل، ينصت لمشاكلك، ويجيبك بنعم حين تكون بحاجة إلى أن يجيبوك بنعم، أو بـ"لا"، وبـ"بأن ذلك لا يجوز" حين يتطلب الأمر أن يفند أحدهم سلوك زوجتك فيما يخص المال، أو الأولاد، أو الأوراق والكتب التى فى كل خطوة تتركها هنا وهناك (فى تلك الفوضى المعروفة عنك والمميزة لك والتى تتيح لك فى أى وقت معرفة موضع كل شىء بشرط ألا يرتب أحد

لك المكتب اللعين)؛ أو يحدثك عن السينما، كلا؛ أو عن الرياضة، أقل من السينما؛ ربما فى الأدب، ولكن بلا عمق، لأنك وإن تكن على معرفة بمعظم الروايات التى كتبت مؤخرا خاصة فى أمريكا اللاتينية، لأن هذه هى الموضة، فإنك فى الواقع لم تقرأها، أو رغم أنك تعلم أنه، حسنا، رغم أنك ترى أنه واجبك، بوصفك كاتبا، ولكن على أية حال، بوسعك الحديث عنها كأنك قرأتها، فيكفيك حدسك أو إلقاء نظرة كى تدرك فى أى اتجاه يتجه خوليو كورتاثر[1] أو بارغس يوسا[2] أو جارثيا ماركث[3] أو ليثاما ليما[4]، دون أن تكلف نفسك هذه المشقة، خاصة فى الوقت الراهن؛ حيث لا يمر يوم دون أن يظهر عمل جديد، ولم يعد هناك وقت لقراءة كل شىء، إلا فيما خلا تلك الروايات الطويلة التى هى أحيانا شديدة التشابك عن قصد ليثبت مؤلفوها أنهم يتقنون تقنياتها. أرأيت؟ أقرأت "باراديسو"؟ أنا لم أقرأها. فالمرء قبل أن ينتهى من إحداها تظهر

---

(١) خوليو كورتاثر (١٩١٤-١٩٨٤): هو مفكر وكاتب ومترجم أرجنتينى.

(٢) بارغس يوسا (١٩٣٦-): روائى، وصحفى، وسياسى من بيرو. حائز على جائزة نوبل فى الأدب عام ٢٠١٠

(٣) جارثيا ماركث (١٩٢٨-): روائى وقصاص كولومبى. حائز على جائزة نوبل فى الأدب عام ١٩٨٢

(٤) ليثاما ليما (١٩١٠-١٩٧٦): شاعر، وكاتب، وقصاص، وكاتب مقال من كوبا.

أخرى. وأنت، هل قرأتها؟ فتجيب أنت مازحا، أنا لم أنته إلى الآن من قراءة دون كيخوتي، وأنت تعلم أنك لم تقرأ ولن تقرأ دون كيخوتي أبدا، وهو ما ينغص حياتك، كما قال لوبي دى بيجا العظيم، لحسن الطالع، فى حديثه على فراش الموت عن دانتى. ولكن، بلا مزاح، الواقع أنك لم يكن لديك وقت. حينئذ تفكر بعد أن استقر رأيك بأنك فى غضون نصف الساعة، لدى انصرافك، سوف تسد ما ينقصك عن الرواية الإسبانوأمريكية، وترى عالما مثاليا، نوعا من "حديقة اللذات"، تبلغ فيه منزلك ويكون كل شىء معدا تقدم لك زوجك بلا تأخير بمئزرها الوردى الجميل وبسمتها التى لا تغادر وجهها ما دامت ليس لديها مشاكل تقدم لك طعام الغذاء وأولادك جلوس فى انتظام حول المائدة، هادئين وحاصلين على عشرة من عشرة فى السلوك، وفى لحظة تنتهى من طبق الحلو وتذهب إلى غرفتك وتمسك برواية "باراديسو"، وكمثل أولئك السباحين من ذوى الزعانف الكبيرة كالضفادع وأنابيب الأكسجين إلى ظهورهم الذين لا يدرى أحد من يتأملون على هذه المسافة من الأمتار تحت الماء بالكاميرا البطيئة وبالألوان فيما لم يشاهده أحد من قبل، تغوص فى قراءة عميقة ورائعة، لا يعطلك سوى دوافعك الشخصية: كأن تذهب للتبول، أو تهرش ظهرك، أو تهبط طلبا لكوب ماء، أو تشغل أسطوانة،

أو تقص أظافرك، أو تشعل سيجارة، أو تختار قميصا لكوكتيل هذا المساء، أو تجرى اتصالا هاتفيا، أو تطلب قهوة، أو تطل من النافذة، أو تمشط شعرك، أو تنظر إلى حذائك، حسن كل هذه الأشياء التى تبهج القراءة، الحياة.

من كتاب: حركة دائمة

(٧)

بقــرة

فى ذلك اليوم، فيما أركب القطار، نهضت على قدمى بغتة فى سعادة وجعلت أومئ بيدى من البهجة وأدعو الجميع إلى رؤية الطبيعة وتأمل الشفق وكم كنت سعيدا. أما السيدات والأطفال وبعض السادة الذين قطعوا حديثهم راحوا ينظرون إلىّ فى دهشة ويضحكون منى، وحين جلست مجددا ساكنا لم يكن فى وسعهم أن يتخيلوا أننى رأيت منذ قليل وهى تبتعد فى بطء على حافة الطريق بقرة ميتة دون أن تجد من يدفنها أو ينشر لها أعمالها الكاملة، أو من يلقى فى حقها خطابا متأسيا وباكيا؛ نظرا إلى طيبتها وإلى كل دفقات الحليب الدافئ التى أسهمت بها فى أن يستمر سير الحياة على وجه العموم وسير القطار على نحو أخص.

من كتاب: الأعمال الكاملة (وقصص أخرى)

(٨)

الإيجـــاز

ما أكثر ما أسمع الحديث عن الإيجاز، ومؤقتا أنا نفسى أسعد حين أسمع قول "إن الخير، موجزا، خير مرتين".

ومع ذلك فإن هوراس ليتساءل، فى مقطوعاته الهجائية رقم ١ - من الجزء الأول-، أو هو يصطنع سؤال ميسيناس لما لا يقنع أحد بحاله، فالتاجر يحسد الجندى، ويحسد الجندى التاجر. (تتذكرون، أليس كذلك؟).

والحق أن كاتب العبارات الموجزة لا يطمح إلى شىء فى العالم غير كتابة نصوص مسهبة بلا نهاية، نصوص طويلة لا يعمل فيها الخيال، وتتقاطع فيها الأحداث والأشياء والحيوان والإنسان، فيبحث بعضهم عن بعض أو يفرق بعضهم من بعض، فيعيشون، ويتعايشون، ويتحابون أو يهرقون دمهم بلا قيد دون أن يخضعوا للفصلة المنقوطة، أو النقطة.

لهذه النقطة التى فرضها علىّ فى هذه اللحظة ما هو أقوى منى، وأحترمه وأمقته.

من كتاب: حركة دائمة

(٩)

الإيمان والجبال

في البدء، كان الإيمان يحرك جبالا فقط حين يكون الأمر ضروريا للغاية، ومن ثم فإن الطبيعة لبثت على حالها ألوف السنين.

ولكن حين بدأ الإيمان ينتشر وبدا للناس أن فكرة تحريك الجبال مسلية، راحت الجبال تتحرك بلا توقف، وأصبح عسيرا في كل مرة أن يجدها المرء حيث تركها في الليلة السابقة؛ وهو أمر بالطبع زاد المشاكل أكثر من حلها.

حينئذ قرر خيار الناس تركه والآن، على وجه العموم، منفكت الجبال في مكانها.

والآن حين يحدث سقوط يلقى حتفه تحته عدد من المسافرين، فمرد ذلك أن أحدا من بعيد أو من قريب انتابته نفحة خفيفة من الإيمان.

من كتاب: النعجة السوداء وأمثولات أخرى

(١٠)

الذبابة التى حلمت أنها نسر

كانت هناك ذات مرة ذبابة تحلم كل ليلة بأنها نسر، وأنها تطير بين جبال الألب وجبال الإنديز.

فى البداية أصابها ذلك بالجنون من فرط السعادة؛ ولكنه، بمرور الوقت، سرعان ما أصابها بالكرب لأنها وجدت أن جناحيها بالغا الحجم، وجسدها ثقيل جدا، وأن منقارها قوى جدا ومخلبيها فى بالغ القوة؛ حسنا، أى إن تلك الآلة الضخمة كلها تحول بينها وبين أن تحط فى رضا فوق الحلوى اللذيذة أو فضلات البشر، أو بين أن تعانى بقصد منها حين تصطدم بزجاج نافذة غرفتها.

ففى واقع الأمر لم تكن تحب التحليق فى الأعالى، ولا الفضاءات المفتوحة على وجه الإطلاق.

ولكنها كلما ثابت إلى رشدها تمنت أن تصير نسرا كى ترتقى الجبال، ولبثت حزينة لأنها ذبابة، لذا فإنها كانت تطير كثيرا، وتلف وتدور إلى أن تضع فى بطء خدها على الوسادة فى الليل.

من كتاب: النعجة السوداء وأمثولات أخرى

(١١)

الحكيم الذى صعد إلى السلطة

فى أحد الأيام منذ أعوام، لاحظ القرد أنه من بين جميع الحيوانات ينحدر من أفضل سلالة، الإنسان.

هذا الاكتشاف أشاع فيه الحماس فجعل يدرس حزمة كبيرة من الكتب مكدسة منذ القدم فى منزله، وكلما زاد تعلمه أجاد التصرف ككائن مهم فى المواقف الأكثر شيوعا.

وبلغ إصراره مبلغا جعله يحقق تقدما كبيرا فى وقت قصير بنصائح أنثى الثعلب فى السياسة والبومة والحية فى العلم.

وعلى هذا النحو، وحيال دهشة السذج، سرعان ما بدأ صعوده إلى القمة، إلى أن جاء اليوم الذى حياه فيه أصدقاؤه وأعداؤه بعبارة "أمين سر الأسد".

ومع ذلك، فى سهاده (فكثيرا ما يحدث ذلك منذ أن أدرك أنه يعلم الكثير)، اكتشف القرد اكتشافا آخر مذهلا: من الظلم أن يكون رئيسه الأسد الذى لا يعتمد إلا على قوته الجسدية وخوف الآخرين منه؛ أما هو الذى إن يشأ (حسبما قرأ فى مكان لا يتذكره) يمكنه بقليل من الإصرار أن يعيد كتابة سونتات شكسبير، فلا يعدو كونه مجرد تابع.

فى اليوم التالى، متسلحا بسلاح الشجاعة تنحنح عدة مرات، وفى أكثر من ساعة عرض على الليث، وبعد أن ساق مبررات طويلة ومعقدة، نظرية أنهما يجب أن يتبادلا الأدوار وذلك طبقا لأبسط قواعد المنطق، فكم كان من السهل لمن لديه شىء من العقل أن يدرك كم كان يتفوق عليه من حيث الأصل ومن حيث الذكاء بالطبع.

والأسد المنشغل فى تحليق ذبابة لم يخفض بصره فى أية لحظة، وافقه فى كل شىء، وفى تلك اللحظة نفسها بادله التاج بالقلم، وأطل من الشرفة ليعلن هذا التغيير للمدينة والعالم.

ومنذ ذلك الحين، وكلما أمره القرد بشىء، أجابه الليث المطيع دائما بضربة مخلب؛ وكلما وبخه القرد لأنه فهم خطأ أمرا أو لم يحسن كتابة خطاب رد الليث بضربتين أو ثلاث، حتى إن جسد القرد، بعد وقت قليل، لم يعد به موضع لا ينزف دما أو ما هو أسوأ.

وفى النهاية، توسل القرد إلى الأسد جاثيا على ركبتيه تقريبا أن تعود الأشياء سيرتها الأولى، فأجابه الأسد الذى يشعر بالسأم منذ نحو ألف عام متثائبا إلى طلبه، ثم تثاءب من جديد ليقول له حسنا فلتعد الأمور إلى سابق عهدها، وقبل منه التاج وأعطاه القلم، ومنذ ذلك الحين يحتفظ القرد بالقلم والأسد بالتاج.

من كتاب، النعجة السوداء وأمثولات أخرى

(١٢)

النعجة السواء

في واحد من الأقطار البعيدة، كان هنالك نعجة سوداء.

أعدمت رميا بالرصاص.

بعد قرن من الزمان، أقام لها القطيع الذي ندم على فعلته، أقام لها تمثالا راكبا في الحديقة العامة.

وعلى ذلك، ومنذ تلك اللحظة فصاعدا، كلما ظهرت نعجة سوداء سرعان ما يعمل فيها القتل؛ كي تتمكن الأجيال اللاحقة من التمرس في فن النحت.

من كتاب: النعجة السوداء وأمثولات أخرى

(١٣)

الحرباء التى لم تدر فى نهاية الأمر بأى لون تتلون

فى بلد بعيد بعيد، فى قلب الغابة، منذ أعوام عديدة، مر وقت عصيب دخلت فيه الحرباء، التى مالت إلى السياسة، فى حالة من الحيرة التامة، فالحيوانات الأخرى، بمشورة أنثى الثعلب، انتبهت إلى حيلها وبدأت تواجهها بأن تحمل فى جيوبها ليل نهار مجموعات من الزجاج المختلف الألوان لمكافحة غموضها وريائها، أى إنها إذا كانت ذات لون بنفسجى وأرادت لأى ظرف مهم أن تكتسب اللون الأزرق مثلا، كانت الحيوانات تخرج قطعة زجاج حمراء ترى الحرباء من خلالها، فتظل بالنسبة لها هى الحرباء البنفسجية نفسها وإن سلكت سلوك حرباء زرقاء؛ وإذا كان لونها أحمر ولمبررات خاصة تحولت إلى اللون البرتقالى، فكانت الحيوانات تستخدم قطعة الزجاج المناسبة لتراها باللون الأحمر.

وذلك فقط فى حالة الألوان الأصلية، لأن هذا المنهج بلغ من الانتشار حد أنه بمرور الزمن لم يكن هنالك من لا يحمل معه طاقما كاملا من الزجاج من أجل الحالات التى تتحول فيها الحرباء الماهرة إلى اللون الرمادى، أو الأخضر الضارب إلى الزرقة، أو أى لون آخر غير محدد تقريبا فتدعو الضرورة إلى وضع ثلاث أو أربع أو خمس طبقات من الزجاج.

ولكن من طيب الطالع أن الحرباء، بعد الأخذ فى الاعتبار أن الحيوانات جميعا سواء، اتخذت لنفسها المنهج نفسه.

حينئذ كم كان جديرا رؤيتها وهى تخرج قطع الزجاج وتبدلها كلما تغيرت ألوانها، تبعا للمناخ السياسى أو الآراء السياسية السائدة فى هذا اليوم أو ذاك من أيام الأسبوع، أو فى هذه الساعة أو تلك من النهار أو الليل.

ومن السهل أن نتخيل أن ذلك قد تحول إلى فوضى خطرة من الألسنة؛ ولكن سرعان ما فطن الأذكياء إلى أن ذلك سيكون الخراب التام ما لم ينظم على نحو من الأنحاء، إلا إذا اتفق الجميع على أن تعمى الآلهة بصرها وتضيعها، فاستعادوا النظام.

وفضلا عما تنص عليه اللائحة التى أعدت لهذا الغرض، فإن العرف بدوره قد أرسى قواعد رفيعة للتحضر تنص على أنه إذا كان لدى أحدهم حاجة ماسة إلى قطعة زجاج ذات لون بعينه؛ كى يتنكر أو لكى يكشف عن اللون الحقيقى لشخص ما، بوسعه أن يلجأ حتى إلى أعدائه لكى يعيروه إياها، طبقا لحاجته إليها فى تلك اللحظة، كما كان يحدث بين أكثر الأمم تحضرا.

الليث وحده، وكان حينئذ رئيس الغابة، راح يضحك من هؤلاء وهؤلاء، وإن جرب هو نفسه فى سخرية اللعب بقطع الزجاج على سبيل التسلية.

ويعود إلى تلك الحقبة المثل القائل:

كل حرباء ترى طبقا للون

الزجاج الذى ينظر إليها منه.

من كتاب: النعجة السوداء وأمثولات أخرى

(١٤)

السلحفاة وأخيل

أخيرا، طبقا للبرقية، بلغت السلحفاة خط النهاية فى الأسبوع الماضى.

وفى مؤتمر صحفى صرحت فى تواضع بأنها خشيت دائما الخسارة، لأن خصمها كان فى أعقابها طوال الوقت.

الحق أن أخيل، بعد عشرة آلاف تريليون جزء من الثانية، وصل خط النهاية كالسهم وهو يلعن زينون الإيلى(١) .

من كتاب: النعجة السوداء وأمثولات أخرى

---

(١) زينون الإيلى (٤٩٠ ق.م – ٤٣٠ ق.م): هو من إيليا، وهى مدينة يونانية على الساحل الجنوبى لإيطاليا، ويعد أحد فلاسفة ما قبل سقراط. عاش زينون فى القرن الخامس قبل الميلاد، وهو من أنصار بارمنيدس فى أن عالم الحس وهم باطل.

(١٥)

الزرافة التى سرعان ما فطنت إلى أن كل شىء نسبى

منذ زمن بعيد، وفى بلد بعيد، كانت هنالك زرافة متوسطة الطول ولكنها كانت من الإهمال بحيث إنها ذات مرة خرجت من الغابة وضلت.

على غير هدى وعلى غير عادتها جعلت تسير من هنا إلى هناك فى نزق، ومهما خفضت رأسها لترى الطريق لم تجده.

وهكذا، وصلت فى سيرها إلى شعاب حمى فيها وطيس معركة كبرى.

وعلى الرغم من سقوط الكثير من الضحايا من الجانبين، لم يكن أحد مستعدا للتنازل عن مليمتر واحد من الأرض.

كان القادة يخطبون فى قواتهم شاهرين سيوفهم، فيما اصطبغ الجليد باللون الأحمر القانى لون دم الجرحى.

بين الدخان ودوى المدافع كان يُرى قتلى الجيشين وهم يسقطون،

ولا يسعفهم الوقت كي يسلموا أرواحهم للشيطان؛ لكن من نجوا يواصلون إطلاق النار في حمية إلى أن يجيء دورهم ويسقطون بسمت غبى، رغم أنهم يعتقدون أن التاريخ سيسجله سمتا بطوليا، فهم يموتون دفاعا عن العلم؛ وبالفعل فإن التاريخ كان يأخذ تلك الإيماءات مأخذ البطولة، سواء التاريخ الذى يأخذ إيماءات فريق أو التاريخ الذى يأخذ إيماءات الفريق الآخر، لأن كل جانب كان يكتب تاريخه الخاص؛ وعلى ذلك فإن ويلنجتون كان بطلا عند الإنجليز ونابليون بطلا عند الفرنسيين.

فى تلك الأثناء تابعت الزرافة سيرها، إلى أن وصلت إلى مكان من الشُعب أقيم فيه مدفع ضخم انطلقت منه فى تلك اللحظة ذاتها طلقة أعلى رأس الزرافة بنحو عشرين سنتيمترا. وحين رأت الطلقة على مقربة منها إلى هذا الحد، وفيما تتابع بنظرها مسار الطلقة فكرت:

«حسنا، ما أجمل ألا أكون فارعة الطول، فلو أن رقبتى ثلاثون سنتيمترا أطول لاطاحت برأسي؛ وكم هو طيب ألا تكون الأرض فى هذه البقعة منخفضة بمقدار ثلاثين سنتيمترا وإلا لأطاحت الطلقة برأسى أيضا. والآن أعى أن كل شىء نسبى».

من كتاب: النعجة السوداء وأمثولات أخرى

(١٦)

الشعاع الذى سقط مرتين فى المكان نفسه

حدث ذات مرة أن سقط شعاع مرتين فى المكان نفسه؛ فوجد أنه فى المرة الأولى كان قد أوقع ما يكفى من الضرر، وأنه لا ضرورة له فاكتأب كثيرا.

من كتاب: النعجة السوداء وأمثولات أخرى

(١٧)

الضفدع الذى أراد أن يكون ضفدعا أصيلا

حدث مرة أنه كان هناك ضفدع شاء أن يكون ضفدعا أصيلا، وفى كل يوم كان يجتهد لذلك.

فى البدء ابتاع مرآة راح ينظر فيها طويلا؛ بحثا عن أصالته المنشودة.

فى بعض الأحايين بدا أنه وجدها؛ وفى بعض آخر لم يجدها تبعا لحالته النفسية فى ذلك اليوم أو فى تلك الساعة، إلى أن مل ذلك وحفظ المرآة فى صندوق.

ورأى فى النهاية أن الطريقة الوحيدة لمعرفة قدره كانت آراء الناس، ثم بدأ يمشط شعره وينتقى ملابسه ويسلى وقته (حين تعييه الحيل) كى يمكنه معرفة هل سيتقبله الناس ويعترفون بأنه ضفدع أصيل.

فى أحد الأيام لاحظ أن أكثر ما يثير إعجابهم فيه جسده، خاصة ساقيه، وعلى ذلك فقد كرس وقته لممارسة الجلوس والقفز؛ كى يكون له ساقان أفضل بمرور الوقت، ينتابه شعور بأن الجميع يشجعه.

وهكذا، ظل يبذل جهده إلى أن تركهم ينتزعون ساقيه فى سبيل أن يعتبروه ضفدعا أصيلا، أما الآخرون فكانوا يأكلون ساقيه، وهو، فى مرارة، تمكن من سماعهم وهم يقولون ما ألذ الضفدع وكأنه دجاجة.

من كتاب: النعجة السوداء وأمثولات أخرى

(١٨)

القرد الذى أراد أن يصبح كاتبًا ساخرًا

كان يعيش فى الغابة قرد أراد أن يصبح كاتبا ساخرا. استذكر كثيرا لكنه التفت فى الحال إلى أنه، كى يصير كاتبا ساخرا، تنقصه معرفة الناس فاجتهد فى زيارة الجميع والذهاب إلى حفلات الكوكتيل ومراقبتهم بطرف عينه، وهم منشغلون وفى يد كلٍّ قدحه.

ولما كان خفيف الظل فعلاً وكانت حركاته الراقصة تسلى الحيوانات الأخرى، لقى ترحابا فى كل مكان وهو أجاد فن أن يكون موضع ترحيب أكبر.

لم يكن هناك من لا يسر بحديثه، فإن يحضر يلقَ ترحابا سارا سواء من جانب "القردات" أو أزواجهن أو بقية سكان الغابة الذين، مهما تكن معارضتهم له فى شؤون السياسة الدولية أو القومية أو المحلية،

يظهر أمامهم متفهما دائما، واضحا دائما، معتزما التعمق فى دراسة الطبيعة البشرية والتمكن من رسمها فى كتاباته الساخرة.

هكذا دانت اللحظة التى غدا فيها أعرف الحيوانات بالطبيعة البشرية فلا تفوته فائتة.

حينئذٍ، فى يوم من الأيام، قال: سأكتب ضد اللصوص، والتفت إلى طائر العقعق، وشرع فى ذلك فى حماس وراح يستمتع ويضحك ويعتلى الأشجار من فرط متعته للأشياء التى تجود بها قريحته عن طيور العقعق. لكنه، بغتةً، فكر فى أن من بين حيوانات المجتمع التى احتفت به كان هنالك العديد من طيور العقعق - خاصة أحدها- وأنها كانت سترى أنفسها فى مقاله الساخر، مهما قلّت درجة السخرية، فأقلع عن الفكرة.

فيما بعد، شاء الكتابة عن الانتهازيين ووضع عينه على الحية التى - بكثير من الحيل المساعدة فى الحقيقة لما لديها من فنون التملق- تتمكن من المحافظة على مناصبها أو استبدال خير منها بها؛ بيد أن الكثير من الحيات - خاصة إحداها- كان سيشعر بالحرج فأقلع عن الفكرة.

فيما بعد رغب فى السخرية من الشغالين المقهورين وتوقف عند النحلة التى كانت تعمل بغباء دون أن تدرى لمَ أو لمن، ولكنه، خوفا من أن تشعر بالمهانة صديقاته من ذلك النوع - خاصة إحداها- انتهى

إلى مقارنتها بزيز الحقل الذى - فى أنانيته- لم يكن يتوقف عن الغناء متخيلاً نفسه شاعرا، وأقلع عن الفكرة.

ثم فكر فى الكتابة ضد الاختلاط الجنسى ووجه سخريته ضد الدجاجات المستهترات اللائى يسعين طيلة النهار وراء شباب الديكة، لكن الكثير منها كان أحسن استقباله فخشى أن يسىء إليها وأقلع عن الفكرة.

فى نهاية الأمر، أعد قائمة كاملة بنقاط الضعف ومساوئ البشر ولم يجد أحدا يوجه إليه مدافعه، فجميعها عيوب موجودة فى الأصدقاء الذين يشاركونه مائدته وفيه هو نفسه.

ساعتئذ تخلى عن فكرة أن يصبح كاتبا ساخراً وشعر بميل نحو التصوف والعشق وتلك الأشياء؛ ولكن الناس، إثر ذلك وكما هو معروف، جعلوا يقولون إنه مجنون، ولم يعد أحد يستقبله لا بذلك الترحاب ولا بذلك السرور.

من كتاب: النعجة السوداء وأمثولات أخرى

(١٩)

بجماليون

فى عهد الإغريق، منذ زمن بعيد، كان هناك شاعر يدعى بجماليون تفرغ لنحت تماثيل رائعة الكمال حتى إنها لا ينقصها إلا أن تتكلم.

وما إن ينتهى من نحتها، كان يعلمها الكثير مما يعرف: الأدب عموما وخاصة الشعر، وبعضا من السياسة، وبعضا آخر من الموسيقى، وعموما بعض المزاح والأملوحات والتصرف المناسب فى أية محادثة.

وحين يرى الشاعر أن تماثيله أصبحت مستعدة، كان يتأملها برضا عدة دقائق كأنما على غير رغبة منه ويجعلها تتكلم.

ويدءا من تلك اللحظة ترتدى التماثيل ملابسها وتخرج إلى الشارع، وفى الشارع أو البيت تتحدث بلا توقف عن كل ما ترى.

أما الشاعر فكان سعيدا بأعماله ويتركها على هواها، وحين يزوره أحد يلوذ بالصمت مباشرة (وكم كان فى ذلك من راحة له) فيما تقوم تماثيله بتسلية الآخرين، وأحيانا على حساب الشاعر نفسه بطرائف بالغة الملاحة.

والطريف أنه كانت تجيء لحظة تظن فيها التماثيل، كالعادة، أنها أفضل من مبدعها وتبدأ في ذمه.

كانت تفكر في أنها أما وقد أجادت الكلام فإن ما ينقصها هو الطيران، ثم أخذت تجرب كل أنواع الأجنحة بما في ذلك أجنحة الشمع التي كانت قد نالت منذ وقت ليس بالبعيد سمعة سيئة في مغامرة مشؤومة.

أحيانا كانت تقوم بمجهود حقيقي، وتحتقن وجوهها، وتتمكن من الارتفاع سنتيمترين أو ثلاثة، وهو ارتفاع كان يصيبها بالطبع بالدوار، فهي لم تخلق من أجل ذلك.

أما بعضها، فكان يشعر بالندم ويقلع عن الفكرة، ويعود إلى الرضا بالقدرة على الكلام وإمكان إصابة الآخرين بالدوار.

وبعض آخر، عنيد، يصر في مسعاه، فيتخيله المارة من الإغريق قد جن، وهو يقفز تلك القفزات القصيرة التي كانت التماثيل تعدها طيرانا.

وبعض آخر خلص إلى أن الشاعر سبب كل مصائبها، سواء تكلمت أم قفزت، وحاول هذا البعض أن يفقأ عيني الشاعر.

في بعض مرة، كان السأم يصيب الشاعر فيركلها في مؤخرتها فتسقط في أجزاء صغيرة من الرخام.

من كتاب: النعجة السوداء وأمثولات أخرى

الكاتب فى سطور :

أوجوستو مونتيروسو

ولد فى تيغوثيغالبا (هندورس) ١٩٢١، وتوفى فى عاصمة المكسيك عام ٢٠٠٣ . فى مطلع شبابه ناضل ضد حكم الديكتاتور الجواتيمالي خورخى أوبيكو، مما اضطره إلى اختيار منفاه فى المكسيك التى استقر فيها بعد عدد من الأسفار والإقامات والمهام الدبلوماسية فى أوروبا على وجه الخصوص.

من أشهر أعماله:

- الأعمال الكاملة وقصص أخرى (١٩٥٩)
- النعجة السوداء وحكايات أخرى (١٩٦٩)
- حركة دائمة (١٩٧٢)
- وما غير ذلك صمت (١٩٧٨)
- رحلة إلى مركز الحكاية (١٩٨١)
- الكلمة المسحورة (١٩٨٣)
- حرف الـ e: قطوف من يوميات (١٩٨٧)

- الباحثون عن الذهب (١٩٩٣) (سيرة ذاتية)
- البقرة (١٩٩٨)
- طيور من إسبانوأمريكا (٢٠٠٢)

ومن أهم ما حصل عليه من جوائز، جائزة "ماجدا دوناتو" عام ١٩٧٠، وجائزة "خابيير بياوروتيا" ١٩٧٥ عن كتابه مختارات شخصية، وفى عام ١٩٩٧ أهدته وزارة الثقافة والرياضة فى جواتيمالا "الجائزة الوطنية للأدب: ميجل إنخل أستورياس". وأخيرا حصل عام ٢٠٠٠ فى إسبانيا على جائزة "أمير أستوريس للأدب"؛ تقديرا لمسيرته على مجمل أعماله. كما حصل فى عام ١٩٨٨ على وسام "أجيلا أثتيكا" الأدبى من الحكومة المكسيكية نظرا لجهوداته ومساهمته فى الثقافة المكسيكية.

المترجم فى سطور :

د. محمد أبو العطا

- أستاذ الأدب الإسبانى والترجمة بجامعة عين شمس، مصر.

- من بين من ترجم لهم: فيديريكو غرسيه لوركا، وخورخى لويس بورخس، وأدولفو بيوى كسارس، وخوليو كورتاثر، وكاميلو خوسيه ثيلا، وغابرييل غرسية ماركث، ورامون خوتا سندير، وإدوارد مندوثا، وخسوس باردو، وليوبولدو لوجونس، وفرانثيسكو برينيس، وخوسيه ماريا ألبارث، ودييجو باليردى، وداريو بييانوبيا، وخوسيه بينيا ليستى، وأنا ماريا غاروته...

- كما ترجم عددا من الدراسات الأدبية إلى العربية أهمها مجلد "مسار الرواية الإسبانوأمريكية" و"الرواية الإسبانية المعاصرة".

- له ستة مجلدات فى ترجمة الشعر من الإسبانية وإليها.

- ترجم لخورخى لويس بورخِس مجلدات:

١) حديقة الطرق المتشعبة، ١٩٩١ .

٢) الألف، ١٩٩٨ .

٣) قصص، المركز القومى للترجمة، ٢٠٠٨ .

٤) مديح الظل، المركز القومى للترجمة، ٢٠١١ .

التصحيح اللغوى: صفاء فتحى
الإشـراف الفنـى: حسن كـامل